﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾ [الفتح: 1]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

أُتبِعت سورةُ القتالِ بسورة الفتح؛ بشارةً لِلمجاهدين بالنَّصر والتَّمكين

لمّا كانت سورَة محمَّد تُسمَّى سورةُ القتالِ، والقتالُ هو الجهادُ؛ أُتبِعَت بِسورة الفتح الَّتي فيها بشارة للمجاهدين مِن أهل هذا الدّين، بالفوزِ والنَّصر والظَّفر على كُلِّ مَن كَفَرَ[1]، ولأنَّ الفَتحَ - بمعنى النَّصرِ - مرتَّبٌ على القتالِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَحۡنَا﴾: (فتح) تدُلُّ تصريفاتُه على ضِدِّ الإغلاق، والفَتحُ: الماء يخرج من عَيْنٍ أو غيرها، والفَتحُ أيضًا: النَّصر والإظفار، واستفتَحْتُ: استنصرت[3]، وفاتِحَةُ كلِّ شيء: مبدَؤُه الَّذي يُفتَح به ما بَعدَه، وبه سُمّيت فاتحة الكتاب، ويُقال: افتَتَحَ فلانٌ كذا؛ إذا ابتدأ به، وفَتَحَ عليه كذا؛ إذا أعلمه، ووقَّفه عليه، كما في قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: 76]، وفَتَحَ القَضيَّةَ فِتاحًا، أي: فَصَلَ الأمرَ فيها، وأزال الإغلاقَ عنها، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف: 89]، والمُراد بالفتح هنا: صُلْحُ الحُدَيبية.

2) ﴿مُّبِينٗا﴾: (بين) تدور اشتقاقاتُه على بُعدِ الشَّيء وانكِشافِه، يُقال: بان، بمعنى: فارق، وبانت المرأةُ بالطَّلاق، وأبانها زوجُها، وأبَنْتُ الأمرَ وبَيَّنْتُه: أظهرتُه بيانًا وتِبيانًا، والبيِّنة: الأمر الواضح، ومنه قوله: ﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: 57]، والبَيِّنة: الحُجَّة، ومنه

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 273.
(2) السّيوطيّ، تناسق الدّرر في تناسب السّور، ص: 117.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فتح).

قول النَّبيِّ ﷺ: «البَيِّنة على المُدَّعي»[1]؛ لأنَّ بها ينكشف الحَقُّ، ويتَّضح، والبيِّنة: الدَّلالة الواضحة عقليَّةً كانت أو حسّيَّةً[2]، والمراد بالمُبين في قوله: ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾، أي: ظاهرًا واضحًا[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخاطب الله تعالَى نبيَّه ﷺ قائلًا له: إنّا فتَحْنا لك - أيُّها الرَّسولُ - بصُلحِ الحُدَيبيَة فَتحًا بَيِّنًا ظاهرًا، يُظْهِر الله فيه دينَكَ، وينصرك على عَدوِّك[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الافتتاح بـ (إنَّ) مقرونةً بنون العَظَمَة:

تفخيمُ شأنِ صُلْح الحُديبية وتعظيمُهُ

صُدِّرت الجملةُ الخبريَّةُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ بـ (إنَّ) واسميَّة الجملة؛ للاعتناءِ بشأنِ الفَتح، وهو صُلْح الحُديبية في قول أكثر المُفَسِّرين، كما أنَّ التَّأكيد بـ (إنَّ)؛ للاعتناءِ بمضمون الخبَرِ والاهتمام به، لا لِرَدِّ إنكارٍ ولا تردُّدٍ، أو أنَّ الحُكْمَ - لِعَظَمِ شَأْنه - مَظِنَّةٌ للإنكار، وذهب بعضُ أهلِ العِلم إلى أنَّ بَعْضَ الصَّحابة الكِرام رضوان الله عليهم مِمَّن كانوا مع الرَّسول ﷺ قد أصابَهم الغَمُّ على أن أُجيبَ المشركون إلى سُؤالهم الهُدنةَ، فالتَّأكيد مصروفٌ للسّامعين على طريقة التَّعريض، أو أنَّ التَّوكيدَ مراعاةٌ لِكونِ بَعضِ السّامِعينَ مُنْكِرًا أن يكونَ ما وقَعَ فَتحًا[5]، وقَرْنُ حرفِ التَّوكيدِ (إنَّ) بنون العَظَمَة (نا) في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾؛ لاستناد أفعال العِباد إليه تعالى خَلْقًا وإيجادًا[6]، كما أنَّ في الإسنادِ إلى نونِ

(1) أخرجه التِّرمذيّ في سننه، برقم: (1341)، وهو حديث صحيح، كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني، رقم: (2897).
(2) السمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: (بين).
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 27/ 229.
(4) نخبة من أساتذة التفسير، التّفسير الميسر، ص: 511.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 239، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 146.
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 103.

العظَمة تفخيمًا للفَتح؛ لأنَّه فعلٌ عظيمُ الشَّأن، وأنَّه أمرٌ صعب يحتاج إلى كمال القُدرة والعظَمَة[1].

سِرُّ إيثارِ فعلِ الفَتحِ مادَّةً وصيغةً:

فَتحُ البلادِ عبارةٌ عن دخولها عُنْوةً أو صُلحًا، فشُبِّهت بالدّار المُغْلَقَة، فيكون الفَتحُ مأخوذًا من فَتح باب الدّار، وذلك مَجازٌ مرسلٌ بعلاقة المَلزوميَّة؛ إذِ الظَّفر لازِمٌ لفتح باب الدّار، فذُكِر الملزوم، وأُريد اللّازم، ويحتمل أن يكون استعارَةً تَبعيَّة[2]، وعلى رأْي الجُمهور الذين يرونَ أنَّ المُرادَ بالفتح هنا هو صُلْحُ الحُدَيْبيَة، يكون إطلاقُ اسمِ الفَتحِ عليه مَجازًا مُرْسَلًا بعلاقة ما سيكون، أو بعلاقةِ السَّببيَّة باعتبار أنَّه آلَ إلى فَتح خَيْبَر وفَتحِ مكَّة، أو كان سَبَبًا فيهما[3].

الـظَّـفـرُ لازمٌ للفتحِ

أمّا على رَأي من قال: إنَّ المراد بالفتح في الآية الكريمة فَتحُ مكَّة؛ فيقال: شُبِّه الفتحُ في المستقبل بالفتح في الماضي في كونه محقَّقَ الوقوعِ، أي: إنَّ التَّعبيرَ عن فتح مكَّة بلفظ الماضي - وهي غيرُ مفتوحةٍ بعدُ عند نزول هذه الآية - لِلدَّلالَةِ على تَحقُّق وقوعِ الفَتحِ، وفي التَّعْبير عَمّا سيقع بلفظ الماضي مِن الفخامة والدَّلالة على عُلوِّ شأن المخبَر ما لا يخفى[4]؛ لأنَّ هذا الأسلوبَ إنَّما يُستعمَلُ في أمرٍ يعظُم منالُه، ويبعُدُ الوصول إليه، ولا يَقْدِر على نيله إلّا مَن له قَهْرٌ وسلطان، ومَن يَغلب، ولا يُغْلَب، ولذلك يَرِدُ ذِكْرُ أحوالِ يوم القيامَة على هذا الأسلوب، وفتحُ مكَّة من أُمَّهات الفتوح، وبه دخل النّاسُ في دين اللّه أفواجًا، وعليه، ففيه تشبيهُ الفتحِ في المُستقبل بالفَتحِ في الماضي لِكونه مُحَقَّقَ الوقوعِ، والفتحُ في الماضي مُستَعارٌ للفتح في المستقبل من باب الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ، وقدِ اشْتُقَّ

تـفـخـيـمُ شـأنِ الفَتحِ والإيـمـاءُ إلى تـحـقُّـق وقوعِه

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 18/ 51.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 18/ 52.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 104، والآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 239، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 146.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 332.

الفعلُ (فَتَحَ) مِن الفتحِ على سبيلِ الاستعارة التَّبعيَّة[1]، وبذلك تكونُ هذه الجملةُ الموجَزة قدِ اختزلَت صورًا شتَّى مِن البلاغة، وهذا قمَّةُ الإيجاز والإعجاز.

سرُّ حذفِ مفعول ﴿فَتَحْنَا﴾:

الإعـلامُ بجِنسِ الفتحِ لا بخصوص المفتوحِ

حُذِفَ مفعولُ ﴿فَتَحْنَا﴾ من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾؛ لأنَّ المقصودَ الإشارةُ إلى الفعلِ بقطعِ النَّظر عن متعلِّقه، والإيذانُ بأنَّ مناط التَّبشيرِ نفسُ الفتحِ الصّادر عنه سُبحانه، لا خصوصيَّةُ المفتوح، فالمقصودُ: الإعلامُ بجنس الفتحِ لا بالمفتوح الخاصِّ[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمسنَدِ فعلًا ﴿فَتَحْنَا﴾:

الإيـمـاءُ إلى عظَمَةِ الفَتح

جاء التَّعبيرُ بالمسنَدِ فِعْلًا في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾؛ لتقويةِ الإسنادِ في الخبرِ؛ إذ فيه تكرارُ النِّسبة مرَّتين، إحداهما: في إسناد فعلِ الفَتحِ إلى ضمير العَظَمَة (نا) في ﴿إِنَّا﴾، والآخر: في إسناد فعل الفتح إلى ضمير العظَمَة المتَّصلِ به في ﴿فَتَحْنَا﴾، فأفاد ذلك ترشيحًا للنِّسبةِ وتأكيدًا لها، وهذا مُشْعِرٌ بعظَمَةِ الفَتحِ.

معنى اللّام في ﴿لَكَ﴾، ودلالةُ ضمير الخِطابِ:

مـكـانـةُ خـيرِ المُرسَلين عند رَبِّ العالَمين

اللّامُ في ﴿لَكَ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَتَحْنَا لَكَ﴾ لامُ العِلَّة، أي: فَتَحْنا لأجلك فتحًا عظيمًا، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشَّرح: 1][3]، وخُصَّ ذلك بضمير الخطاب ﴿لَكَ﴾ العائدِ إلى النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّ منفعةَ الفتح تعود إليه ﷺ أصالةً، ولأنَّ إعلاءَ كلمةِ الله تعالى يكونُ به، فيُعْليه، وتَمتلئ الأرضُ مِن أمنِه، فلا يعمل منهم أحدٌ حسنةً إلّا كان له مِثْلُ أجرِها، ويكونون على قِصَر زَمَنهم ثُلُثَي أهلِ الجنَّة، فيكون ذلك شَرَفًا له، إلى غير ذلك من الأسرار[4].

---

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 18/ 52، 53، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 147، وصافي، الجدول: 26/ 242، 243.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 146.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 146.

(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 279.

نُكْتَةُ تقديم شِبه الجملةِ على المفعول المُطْلَقِ:

تعجيلُ البشارة للنَّبيِّ ﷺ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿لَكَ﴾ على المفعول المطلق ﴿فَتْحًا﴾، من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ على خلاف الأصل في تَرْتيب مُتَعَلِّقات الفعل؛ وذلك لِقَصد الاهتمام والاعتناء بهذه العِلَّة[1]، ولتعجيلِ بشارته ﷺ.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالمفعول المُطلقِ المبيِّن للنَّوعِ:

صُلْحٌ عظيم، ونصرٌ مُبينٌ

في التَّعبير بالمفعول المُطلَقِ المُبيِّن لنوعه بوصفه بالمبين، في قوله: ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾، يُراد به التَّفخيم والتَّعظيم، فصُلْح الحُديبيةِ هو السَّبَبُ الَّذي تَهَيَّأ به للمسلمين أن يجتمعوا بالكُفّار، فَيَدعوهم إلى الإسلام، ويُبيّنوا لهم مَحاسِنَه، فدخل كثيرٌ من قبائِل العرب؛ بسبب ذلك في الإسلام[2]، وتسميتُهُ ﴿فَتْحًا﴾ ليس مَجازًا للظَّفر بل هو مجاز للصُّلح؛ لأَنَّ صُلْح الحُديبية كان بَعْدَ غلبته ﷺ عَلى المُشْركين؛ إذ سألوا الصُّلْح، وسؤالُهم الصُّلحَ دليلٌ على ظهورِهِ ﷺ عليهم، فيكون الفتح مستعارًا للصُّلح؛ لكونهِ مشابهًا له في الغلبَةِ، وقد كان هذا الصُّلحُ سببًا في فتحِ مكَّة، وفرغَ بهِ رسولُ الله ﷺ لسائر العربِ، فَغَزاهُم، فيكون الفتحُ بهذا الاعتبارِ مَجازًا مُرسلًا؛ إذ ذُكِرَ المُسَبَّب، وأُريدَ السَّبَبُ[3].

بلاغةُ حشدِ المُؤكِّدات في الآية:

تأكيدُ الخبر لخير البَريَّة تعظيمًا له وتفخيمًا

أُكِّد الخبرُ في الآية الكريمةِ بجملةٍ من المُؤكِّدات، وهي: (إنَّ)، والجملة الاسميَّة، والتَّخصيص بالتَّقديم في ﴿لَكَ﴾، والمفعول المطلق ﴿فَتْحًا﴾؛ لتقرير منفعةِ صُلْح الحُديبية للرَّسول ﷺ ابتداءً، ثُمَّ لأُمَّته تبعًا لهُ.

---

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 18/ 53، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 146.
(2) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 18/ 275.
(3) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاويّ: 18/ 53.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"